

Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human
and Social Sciences



مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية
والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

الأندلس والرواية

سؤال في تفعيل التراث الأندلسي

Andalusia and the novel

Question in activating the Andalusian heritage

داود سميرة

جامعة طاهري محمد بشار، daoud.samira@univ-bechar.dz

إشراف: د. حادي نورة

جامعة طاهري محمد بشار، haddi.noura@univ-bechar.dz

المؤلف المرسل: داود سميرة الإيميل: daoud.samira@univ-bechar.dz

تاريخ القبول: 02-04-2024

تاريخ الاستلام: 10-12-2023

ملخص:

المتتبع للكتابات النقدية، يلاحظ أن ما يطبعها اهتمامها وعنايتها بدراسة التراث الأدبي خاصة إذا كان ضمن سياق نص روائي، فكثير من كتّاب الرواية حفلوا بهذا المخزون التراثي باستعادة متونه، قصصه، سيره، أمثاله، وكذا سجلاته، وتاريخه الثقافي، إلى جانب عاداته، وتقاليده، وفنونه، وإحياء ذكاراته المستعادة من تاريخ المكان و من تجربة الإنسان الحياتية المعيشة.

من بين الروائيين الذين جسّدوا هذا التراث في كتابتهم - خاصة التراث الأندلسي- الروائي "واسيني الأعرج"، الذي اتخذ من الإرث الحضاري، والثقافة الأندلسية، عوالم روائية لمخيلته، ومرجعا هاما أسس به شكلا سرديا حداثيا وجماليا. ضمن هذا المسار، وعبر رواية "البيت الأندلسي" تسعى هذه الدراسة إلى قراءة الرموز الأندلسية في المدونة، و تقصّيها في الكتابة الواسية ومحاولة كشف كيفية تفاعلها).

كلمات مفتاحية: التراث، الأندلس، التفاعل، البيت الأندلسي، واسيني الأعرج

Abstract:

Those intrested of critical writing note that what makes it specific is the careful study of the literary heritage, especially if it is within the context of a narrative text. Many of the novelists has celebrated this heritage by reclaiming its texts, stories, biography, proverbs, as well as its records and cultural history, along with its customs, traditions,its different arts, and the revival of its memories recovered from the history of the place and from the life experience of man.

Among the novelists who embodied this heritage in their writings- especially the Andalusian heritage - is the novelist "Wasini Laaraj", in which he was inspired by the Andalusian culture and its cultural heritage, and by its most important personalities who represented these cultures. Therefore, Laaredj's wrintings were influenced by the fictional worlds of his Andalusian imagination, in which he established a modern and aesthetic narrative form within this path, especially through his work "The Andalusian House". This study seeks to read the Andalusian symbols in this novel, and investigates the Andalusian heritage, trying to reveal how to do it?

Keywords: Heritage, Andalusia, interaction, Andalusian house, Wassini Al-Araj

تمهيد:

استثمرت الرواية الجزائرية التراث ككل و بشكل بارز، حيث شكل سمة مميزة وتيممة مركزية وسمت الكتابة السردية بخصائص مختلفة، فكثير من كتاب الرواية حفلوا بهذا المخزون التراثي باستعادة متونه، قصصه سيره، أمثاله كذا سجلاته، وتاريخه الثقافي إلى جانب عاداته، وتقاليده وفنونه، وإحياء ذكرائه المستعادة من تاريخ المكان و من تجربة الإنسان الحياتية المعيشة.

لعل أبرزهم الروائي "واسيني الأعرج" الذي أقام بناء رواياته عليه (الموروث الموسيقي و فن العمارة الأندلسية على سبيل الذكر). حيث أسس لذلك شكلا سرديا حديثا وجماليا .

اختار واسيني لنصه "البيت الأندلسي" بنية سردية تعود بالقارئ إلى تاريخ طرد العرب من الأندلس، مُركزا على وثيقة المخطوطة التي تحكي تاريخ العرب في الأندلس و ما تعرضوا له من اضطهاد و تعذيب، من خلال محاكم التفتيش إلى جانب العناية بالعمران الأندلسي ممثلا بالبيت الأندلسي و عوالم الموسيقى الأندلسية، ومن خلال هذا السياق، تجلّت لنا هذه التساؤلات والتي يمكن تحديدها فيما يلي: ما أشكال التراث الأندلسي الذي استفاد منه واسيني؟ و كيف كان تفعيله لهذا التراث؟

1) الأندلس في الرواية

اشتهرت الأندلس بتراثها التاريخي، والثقافي، والاجتماعي، وكذا الفني و العمراني، حيث كانت مصدرا تخيليا للعديد من الروائيين، تناولتها الروايات " انطلاقا من ثيمات مختلفة، فبينما كانت البدايات منطلقة من فكرة الانبعاث التاريخي انطلقت روايات أخرى من فكرة التسلط و الظلم و الانكسار و الخيبة من الأندلس التي يحلم بها، في حين أن هناك روايات انطلقت من فكرة التعبير عن الفردوس المفقود و استرجاع قوة العرب و هيبتهم و استحضر حضارتهم آنذاك بينما انطلقت روايات أخرى من فكرة الإسقاط التاريخي على واقعنا الحـ

يعود أصل البيت الأندلسي كما ورد في الرواية فكرة وحلما عاشه كل من (غاليلىو أو سيدي أحمد بن خليل) و زوجته (سلطانة ألونسو) التي عشقها وحلم معها بتأسيس البيت الذي رآته على هضاب غرناطة في يوم من الأيام، يقول: "سأحمل في رأسي حلمنا الغالي، وسأبني بيتنا الأندلسي على الأرض الأخرى، وسنسكنه مع بعض، لي يقين بذلك لا يلين أبدا، سنبنيه هنا في هذه الدنيا، قبل الآخرة. لا أدري في أي مكان، ولا في أي زمان... حلمي الذي وعدتك به و اشتهيته و أنت ترينه منجزا في أحد مرتفعات غرناطة، سيلازمني إلى آخر العمر" 5، فكان لهم ذلك بعد مواجهتهم موت المحاكم والكثير من المآسي والعذاب. لينتهي البيت من خلال حركية السرد الروائي، إلى مراد باسطا، وهو الوريث الذي حمل على عاتقه المحافظة عليه و خوض معركة ضد كل من يريد المساس بالبيت و طابعه التراثي منفذا بذلك وصية جده "حافظو على هذا البيت، فهو من لحي و دمي. ابقوا فيه و لا تغادروه حتى و لو أصبحتم خدما فيه أو عبيدا" 6.

1، وواسيني من بين الروائيين الذين توصلوا "إلى إيجاد علاقة وثيقة بالتراث من خلال ما عرف بتوظيف التراث أي استخدام معطياته استخداما فنيا إيحائيا و توظيفها رمزيا لحمل الأبعاد المعاصرة" 2 و قد كانت لمسيرة واسيني الكتابية إفادته من التراث باستثماره للأشكال التراثية المتعددة من طرائق تشكيل الشعبي، الأسطوري، والديني، والتاريخي، والثقافي، أو غيرها.

1. 2 (البيت الأندلسي و فن السرد :

عرض لنا واسيني الأعرج البيت الأندلسي أول مرة من خلال حكي (مراد باسطا) حفيد (غاليلىو الموريسكي لماسيكا) يقول عن قصة البيت: "كل شيء بدأ من تلك اللحظة الغامضة التي خرجت فيها من الصف الطلابي، و رجعت ركضا صوبه بعد أن كان عمي باسطا، قد شرح لنا قصة البيت الأندلسي ... "3، وضمن حركية السرد يتجلى لنا عدة مسميات للبيت الأندلسي من خلال الفترات التي تعاقب عليه زواره (مالكه) و التي قدرت بأربعة قرون، "الخربة الرومانية، البيت الأندلسي، كازا أندلوسيا، دار لالة سلطانة بلاثيوس، دار المحروسة، دار لالة نفسية، دار زرياب، إقامة الأمبراطور، ملهى الضفاف الجميلة ... "4

فالمخطوطة تطالعنا على انتهاك القرصان دالي مامي للبيت، بعد وفاة (غاليليو) و زوجته نعرف بعدها أن مارينا ابنته تتعرض للاغتصاب من طرف رجاله الانكشاريين التي تاهت في البحر بعد أن ظلت تحلم بعودة مع غاليليو إلى غرناطة "فالرغبة في العودة مثل الطوفان، عندما تستيقظ لا قوة في الدنيا تمنعها، تفشل أمامها كل الإرادات و النوايا الحسنة لكنك لو انتظرني "11 قبل أن يشتري البيت حسن الخزناجي" الذي كان يبحث عن قصر يؤمن فيه ابنته الكفيفة خدواج، بعد موته "12 وقراره بقبول عودة العائلة إلى هذا البيت، ثم كيف حول «البيت» خلال فترة الاستعمار الفرنسي إلى "دار بلدية في المحروسة، خضع لتحويلات كثيرة امتزج فيها النموذج الغربي بالأندلسي "13 و من ثم و تجاوبا مع وظائفه الإدارية، ثم إخلاؤه، و حول "في عام 1860 إلى إقامة ثانوية للإمبراطور نابليون الثالث زوجته أوجيني. فيها كان يتقبل أعيان المدينة "14. ثم يستمر في أداء وظيفته كبيت للموسيقى الأندلسية كما شاء له جونا فله " الفضل الكبير في الحفاظ على بعض معالم المدينة من الاندثار أهمها البيت الأندلسي الذي حوله بسرعة إلى مكان جميل للفنون و الموسيقى "15 في فترة الاستقلال، قبل أن يتغير مصيره ليحول كباريه البورفاج و حانة ومكاناً تعقد فيه الصفقات السرية والتقاء القتلة، قبل أن ينتهي بقرار اللجنة إزالته من الوجود وبناء برج عال من مائة طابق، في مكانه. رغم ترجي و طلب مراد باسطة "بتحويله، إلى ما كان عليه، دار للثقافة أو الموسيقى أو التراث "16 قبل موته إلا أن اللجنة أصرت على تهديمه حيث "ينتهي به الحال في نهاية الرواية إلى موت و حرق شنيعين، يدفعان القارئ على تأمل الماضي بحثاً عن مجموعة القيم التي تخص الإنسان في حريته و في سيادته على زمنه ليبني تقدمه، و لتكون له الفاعلية في حياته "17.

ربطاً لما سبق، ينسج واسيني حكاية البيت في مختلف مراحل وأحداثه التي فصلها لنا تفصيلاً دقيقاً حيث يعود مع شخصيات روايته إلى فترة سقوط الأندلس بوصفه من الفترات الحساسة التي تستدرج الروائي للغوص و الكشف عن العديد من الحقائق التي سكت عنها التاريخ و لم تقتصر على زمن معين أو مكان محدد، بل تعدته، فدارت الأحداث في بلاد الأندلس، الكنيسة، الميناء البيت الأندلسي، وفي فترات زمنية متتالية أولها الاحتلال الإسباني لبلاد الأندلس منتقلاً بنا الروائي من عصر لآخر، ومن حادثة لأخرى، مستشهداً بالأحداث التاريخية التي تثبت مصداقيته أمام القارئ. حتى يخيل إليك أنك مشارك معهم في تلك الأحداث، تتعاش وتستمع إلى حكاياتهم وأحلامهم وهمومهم بكل تفاصيلها، فيحكي حكاية صموده للأحداث التي طالته و مصيره مع عصابات العقارية التي "لم يصمد أمام الطبقات الجديدة، التي نشأت بعد الاستقلال، و تشبه عصابات المافيا المالية، و العقارية، التي قننت عمليات النصب، و السرقة، و جعلتها شرعية "7.

ترسم لنا الورقة الرابعة للمخطوطة الشرقية التي كتبها (غاليليو الموريسكي) تفاصيل بناء البيت الذي كان حلماً و تجسد في أرض غير الأرض و غير الوطن و إن كان في الأساس قد بني "استعادة لوطن ضائع، فإن الرواية كانت حريصة على استحضار كل ما يعزز تلك العلاقة الخاصة التي تجعل للبيت روحاً أندلسية قبل أي شيء آخر "8، و من بين المشاهد التراثية التي تصلنا عن البيت، هو ما يمكن تتبعه في أكثر من موقع في السرد التي تصف البنية المعمارية الأندلسية للبيت من وصف للغرف التي يتكون منها و الصالة الكبرى و الأعمدة التي شيد بها البيت، إضافة إلى وصف الحديقة و النافورة و غيرها "غرست فيها كل ما كان يمت بصلة بأرضي الأولى: البرتقال، الكروم، الزيتون، فاح الشمال، الياسمين، مسك الليل "9، و تعود بنا الرواية إلى لحظات سرقة البيت و كيف آل إلي دالي مامي و مقاومة زوج (مارينا) و لحظة اغتصابها من خلال ما تظهره الورقة الثانية عشرة التي كتبتها حفيدا غاليليو الموريسكي و هي مارينا 10.

أن الرواية أقامت حكايتها -حكاية تاريخ غاليليو الموريسكي وعلاقته بالبيت الأندلسي -، من خلال ثلاثة عشر ورقة، فكل ورقة منها تحكي واقعة معينة تبدأ من مأساة و معاناة الموريسكيين و ما تعرضوا له من جرائم الطرد الجماعي وعذابات محاكم التفتيش في القرن السادس عشر " فهي وثيقة نادرة عن هجرة الموريسكيين و بداية حياتهم في الجزائر قبل خمسة قرون " 19، كما استعمل المخطوطة كشكل فني ...، بالتركيز على الوجود التركي في الجزائر و عن رحلة المخطوطة، التي كانت ترسم تاريخ عائلة غاليليو و هو أحد الموريسكيين الذي فرو و طردو من الأندلس إلى الجزائر، حيث قام سيدي أحمد بن خليل المدعو " غاليليو" بكتابة جل أجزائها، باستثناء الجزء الخاص بسرقة البيت فقد كتبه مارينا حفيدته فالمخطوطة "لم تكن كتابا عاديا و لا مخطوطة دينية تتناولها الأيدي ثم تناسها، ما كان بها من معلومات و أسرار، لا شيء يضاهيه" 20 كتبت بلغة الخيميادو " و هي لغة الموريسكيين الأندلسيين السرية التي كتبوا بها نصوصها و تاريخهم و حتى النص القرآني " 21، لأن لغة الخيميادو " كانت تحمي جنونهم و حماقاتهم و أشواقهم و دينهم " 22 و سرهم وجسرهم نحو هويتهم المطموسة وتاريخهم. إلى صارت في يد مراد باسطة آخر وصي عليها، وهو راعيها و حاميا من الاندثار و الحرق و الذي يهددها من كل جانب.

(3) عوالم الموسيقى الأندلسية :

إن ارتباط واسيني الأعرج بحكاية البيت الأندلسي و من شخصياته له دلالات فنية و جمالية يتجاوز به " أسواره الرخامية، و حديقته، لتشمل المدينة بكاملها، و ربما الوطن، فيتحول البيت إلى مدينة، ربما إلى وطن يُسرق كل يوم قليلاً، و ربما إلى مساحة إنسانية أوسع، فرواية البيت الأندلسي تندرج ضمن هذه الجنائزية القلقة التي تعيد إلى الواجهة مجداً مقتولاً، و يقتل كل يوم قليلاً، و معه تندثر الهوية الكبيرة للأرض و البشر، الأمر يتعلق برواية تشتغل على موضوع حساس هو التراث، و كيف يتم محوه، لتصبح مدننا و شوارعنا ناسنا بلا تاريخ، و بلا حياة، بلا روح و حتى بليت أية قوة دفاعية داخلية " 18.

(2) المخطوطة الشرقية:

المخطوطة التي تُشكل جزءا أساسيا من مكونات العمل السرديّ فهي تيمة مهمة و مؤثرة في تطوير الحركة السردية من ناحية، ووسيلة في نقل الأحداث التاريخية و التغيرات التي طرأت على البيت الأندلسي مروراً بالترميم إلى تحويله إلى دار للفنون والموسيقى ليتم غلقه نهائيا بعد الاستقلال، لينتقل " مراد باسطة" حفيد غاليليو إلى العيش في بيت الخدم، و بهذا تحققت وصية الجد الأول " غاليليو" الذي ترك وصية لنسله بالمحافظة على هذا البيت، و حمايته حتى ولو أصبحوا خادماً فيه أو عبيدا.

و «النصوص عموما و النص الروائي بشكل خاص لا يتقدم إلى قرائه عاريا، بل يكون مصاحبا بعلامات تنتمي إلى هذا النص تصنف بوصفها عتبات مثل : عنوان الرواية، اسم الكاتب، لوحة الغلاف، نصوص استهلاكية ... فهذه العلامات تساهم في تشكيل الرغبة لدى القارئ من أجل ولوج النص أو التراجع عنه، أي من خلالها يتم اللقاء بين القارئ و النص و يسميها جينت بالمناص (Paratexte)، بوصفه منطقة التماس الأولى بين النص والمتلقي التي تسمح باكتشاف الدلالة الكامنة فيهما»²⁴. و عن طريقها " تتجلى جوانب أساسية أو مجموعة من الدلالات المركزية للنص الأدبي" ²⁵، و بالتالي تسند إليها وظيفة "العنصر الموسوم سيميولوجيا في النص، بل ربما كان أشد العناصر وسما" ²⁶، و هذا ما يجعلها رسالة مضمنة بدلالات إيحائية .

إن أول ما يلفت النظر أن العناوين الداخلية لا تختلف وظيفتها عن وظيفة العنوان الرئيس الذي يحيل إلى البيت الذي بناه غاليليو الوخو للالة سلطانة و كان يشبه البيت الذي رآته في الأندلس، و حكاية الرواية هي حكاية هذا البيت . و رواية البيت الأندلسي من بين الروايات التي اتبع فيها تقنيات جديدة و حضور مميز للموسيقى الأندلسية و هذا ما تضمنته عناوين هذه الرواية التي كان لها دور في تفعيل مشهد الموسيقى الأندلسية، حين حضرت على نحو فاعل، عبر عناوين منتقاة من مقامات أندلسية متعددة . حيث نلاحظ بأنها تبدأ باستخبار فتوشية فنوبة فوصلة لتأتي بعدها الفصول بالتسلسل .وواسني واحدا من الكتاب الذي شكلت الموسيقى الأندلسية أثرا كبيرا في خلقه؛ لأنه كان يرى فيها المعبر الذي يستمد من خلاله الحنين إلى ديار جده (الروخو) ²⁷، فالعنونة الموسيقية من أبرز أشكاله الفنية التي اتسمت بها بعض رواياته و بالأخص رواية البيت الأندلسي التي تجلت الموسيقى الأندلسية من خلال عناوين الفصول و هي :

واسيني من الروائيين الذين سخرُوا كتابتهم للحفاظ على التراث بكافة أشكاله، من بينها الموسيقى الأندلسية التي تركت أثرا جليا في مضامين نصوصه الروائية حيث تُعتبر الموسيقى الأندلسية الحالية واحدة من الروافد التي تفرعت عن الموسيقى العربية بمفهومها العام حتى أصبح لها لون خاص يميزها عن الموسيقى العربية، و في هذا الصدد يقول عبد العزيز بن عبد الجليل في كتاب "الموسيقى الأندلسية المغربية" "تعتبر الموسيقى الأندلسية واحدة من الامتدادات والروافد التي تفرعت عن الموسيقى العربية في مفهومها العام، ويعتبر الحديث عنها بمثابة الحديث عن لون خاص من ألوان الموسيقى العربية بالأصول نفسها التي تلتقي عندها أصناف الموسيقى العربية عموما وإن تكن قد تفردت بخصائص ومميزات أسهمت عوامل شتى في خلقها... تعتبر هذه الموسيقى خلاصة امتزاج و تلاقح المعطيات الفنية النابعة من طبيعة موسيقى العناصر المتساكنة و هي العرب و البربر و القوط و الصقالبة" ²³.

و رواية البيت الأندلسي تفاجئنا منذ الوهلة الأولى بجملته من العتبات التي تحيل على الموسيقى الأندلسية التي كان لها الدور الفعال في تفعيل المشهد التراثي الأندلسي الجميل، و هذا ما كانت تجلياته واضحة عبر العناوين الفرعية :

1.3) العنوان الموسيقي:

لقد عمقت النظريات الحديثة البحث في دراسة عناوين الأعمال الإبداعية و ركزت بشكا أساسي على الخطاب الروائي الذي تحول فيه إلى أهم مداخل و عتبة أساسية للولوج للمنجز الروائي، فهو بداية الكتابة، يعلن بها الروائي بداية الحكى التي تحفز القارئ على القراءة.

بدأ واسيني بالاستخبار و التي هي عبارة عن الافتتاحية الموسيقية التي قدمت تلخيص للأحداث التي سيأتي ذكرها في الفصول القادمة على لسان ماسيكا " القصة معقدة جدا و لكني سأحاول أن أفكها لتصبح مستساغة و مقبولة " 32، إذ أوردت ماسيكا مكان المخطوطة الشرقية الضائعة و التي عثرت عليها عندما ذهبت إلى اسبانيا، بحثت في وثائق الإسكوريال و مكتبة طوليدو عما ذكره غاليليو عن حياته و عن تهجير الموريسكيين و المارانين " 33، كما تعرف من خلالها إلى حقيقة غاليليو و التي وردت على لسانها بقولها " حقيقة غريبة لم أقرأها من قبل عند كبار المتخصصين في العصر الذهبي الإسباني. فالرجل الذي تخبأ وراءه سرفانتس في روايته العظيمة دون كيشوت، كان هو غاليليو، إذ أن الشبه في الأسماء كان غريبا و متداخلا، يذكر سرفانتس في مقدمة دون كيشوت دي لا مانشا في العديد من المواقع في الكتاب، أن الذي روى له هذه القصص هو سيد حامت بن أنلي " 34، كما أظهرت لنا حيا لأجدادها الموريسكيين، أنها قامت بترتيب أوراق المخطوطة و تنسيقها " قضيت وقت كبيرا ألملم هذه التفاصيل الضائعة بالتسجيل المباشر معه، و الكتابة و التدوين، و حتى البحث و ها أنا ذي اليوم، أخرجها إلى الوجود كما اشتهاها قبل أن يغمر عيني على حافة خليج الغرباء " 35 .

*استخبار ماسيكا؛ كما قدمه واسيني هو " قطعة موسيقية أندلسية افتتاحية صغيرة، و هي مقدمة لما سيأتي، القصد من ورائها شد انتباه المستمع و إدخاله في الموسيقى. تعزف فرديا بألة وثيرة واحدة، أو جماعيا بمختلف الآلات " 28

*توشية مراد باسطا؛ وهي " مقطوعة زائدة عن النظام الموسيقي العام، لها وظيفية إيقاعية تجميلية. القصد من ورائها الاستراحة و استعادة الأنفاس، و التحضير الموسيقي لما سيأتي من بعد " 29.

*نوبة خليج الغرباء؛ هو " مقام موسيقي أندلسي معروف . هناك عدد من النوبات جاء بها الموريسكيون و اليهود أثناء عمليات التهجير القسري في القرنين السادس عشر و السابع عشر، نحو بلاد المغرب و غيرها. الكثير منها موجود، متوارث عن طريق السماع، لكن الكثير منها ضاع " 30

*وصلة الخيبة؛ الوصلة في الموسيقى الأندلسية هي المقطوعة الرابطة بين إيقاعين مختلفين، منها وصلة زيدان مثلا، التي تعطي نوعا من السلامة للإيقاع الموسيقي في مجموعة 31.

خاتمة:

واسيني من خلال روايته يريد أن يثير انتباهنا إلى: أن حكاية البيت الأندلسي " تتجاوز أسواره الرخامية، و حديثه، لتشمل المدينة بأكملها، وربما الوطن، فيتحوّل البيت إلى مدينة، ربما إلى وطن يُسرق كل يوم قليلاً، وربما إلى مساحة إنسانية أوسع، فرواية البيت الأندلسي تندرج ضمن هذه الجنائزية القلقة التي تعيد إلى الواجهة مجدداً مقتولاً، و يقتل كل يوم قليلاً، و معه تندثر الهوية الكبيرة للأرض و البشر، الأمر يتعلق برواية تشتغل على موضوع حساس هو التراث، و كيف يتم محوه، لتصبح مدننا و شوارعنا ناسنا بلا تاريخ، و بلا حياة، بلا روح و حتى بليت أية قوة دفاعية داخلية " 40.

من خلال نص البيت الأندلسي، يتضح لنا أن واسيني يحفر في عمق التاريخ الأندلسي ليعيد لنا أحداثاً مغيبة في الفترة التي تمثلت في مأساة الأندلسية، و محاولات المقاومة و الاستعداد لخوض معركة الحياة و الموت ضد الأمبراطورية الأسبانية ثم يعرج على أبشع مظاهر محاكم التفتيش ليخاطب به وجداننا، فتوظيف المخطوطة الشرقية التي كتبها (غاليليو) و التي تتحدث عن قضية الموريسين جاعلاً منها مرآة عاكسة من خلال حديثه عن مأساة البيت الأندلسي و عن (غاليليو) و أحفاده الذين حرصوا على تراثهم بحمايته و بالمقابل إظهار ما آل إليه من خراب من طرف ساكنيه المعاصرين، كذلك كان لتوظيف للموسيقى الأندلسية دورها "في تفعيل هذا التراثي الجميل؛ و هو ما كانت أصداؤه عبر عناوين منتقاة من مقامات أندلسية متعددة... و كل منها جاء في موقعه المناسب يشد من تماسك الرواية و تناسق بنيتها " 41.

ينقلنا الروائي عبر فصوله من التوشية التي تعني البدايات الجميلة، إلى النوبة بمقاماتها المختلفة، والوصلة التي تشكل مقطوعة الرابطة بين مختلف فصول النص، أي المقطوعة الموسيقية الأندلسية في كليتها، وسهل ذلك كله، بالاستعانة بتشكيل زمني متنوع من فلاش باك و الاسترجاع الذي تجاوز أربعة قرون. و هكذا تكتمل فصول رواية واسيني مكونة قطعة موسيقية " مترابطة فيما بينها في دلالاتها مع أحداث الرواية، يقصد الكاتب من توظيفها بيان روافد البيت الأندلسي. كما كان في تفعيلها داخل المنجز الروائي دلالة على الحس الموسيقي الذي يتميز به واسيني 36، "فالموسيقي عنده هي أهم ما يعطي للنص روحه و إنسانيته بشكل غير مباشر و ربما غير معلن " 37، بالإضافة إلى حضور الموسيقى الأندلسية على نحو فاعل في الرواية نلاحظ ذلك التزاوج بين لغة القص و لغة الوصلات الموسيقية المختلفة، بالحديث المفصل الذي أوردته الورقة السادسة عن ولع لالة سلطانة بلاليوس بإنشاء فرقة جاهاركا أو لاكاسا أندلوسيا للموسيقى داخل بيتها، "فجعلت البيت الأندلسي قبلة لكل عاشق للموسيقى. أعادت تكوين فرقها التي تملأ قلبها. وجدت ضالتها في لالة مريم التي ساعدتها في كل شيء. حتى في نساء الفرقة: وريدة، تسيبورا، راشا، دليلة، ماميت، نانوت، ريمونة، أليسا" 38،

في الأخير، رواية البيت الأندلسي كما أرادها واسيني " رواية تعيد إلى الواجهة ليس هوية و لكن تاريخاً دمرناه و ندمره يومياً بأيدينا يمكن طابعا إعادة بعث هذه الثقافة من خلال الموسيقى، من خلال العمارة الأندلسية و من خلال التراث و علاماته المتبقية " 39.

5. قائمة الإحالات:

² محمد حسين أبو الحسن، الشكل الروائي و التراث، الهيئة

المصرية العامة للكتاب(مصر)، 2012، ص 79.

³ واسيني الأعرج، البيت الأندلسي، موفم للنشر(الجزائر)، 2015، ص 9.

⁴ الرواية، ص 31.

⁵ الرواية ص 105، 106.

¹ أحمد محمد أحمد، الأندلس في الرواية العربية المعاصرة، دراسة تحليلية، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن، 2009، ص ج، ح.

- 6 الرواية 47.
- 7 زهرة ديك، واسيني الأعرج، هكذا تكلم.. هكذا كتب.. دار الهدى (الجزائر)، 2013، ص 57.
- 8 المرجع نفسه ، ص 53.
- 9 الرواية ، 176
- 10 انظر الرواية ، ص 443.
- 11 الرواية ، ص 471.
- 12 الرواية ، ص 485.
- 13 الرواية ، ص 493.
- 14 الرواية ، ص 495.
- 15 الرواية ، ص 368.
- 16 الرواية ، ص 127.
- 17 ابراهيم رزان، الرواية التاريخية بين الحوارية و المونولوجية. دار جرير للنشر و التوزيع (الأردن) ، 2012، ص 51.
- 18 شراد، واسيني الأعرج قاب قوسين أو أدنى ، حوارات في الرواية و الكتابة و الحياة (2004_2014) ، ص 188 .
- 19 الرواية ، ص 15.
- 20 الرواية ، ص 53.
- 21 الرواية ، ص 60.
- 22 الرواية ، ص 61.
- 23 عبد العزيز بن عبد الجليل، الموسيقى الأندلسية المغربية ، فنون الأداء ، عالم المعرفة ، 1998، ص 15
- 24 ينظر، جميل حمداوي ، السيميوطيقا والعنونة ، مجلة عالم الفكر ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد 25، العدد 03، 1997، ص 103
- 25 صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد (164)، أغسطس 1992، ص 236.
- 26 صلاح فضل ،المرجع نفسه ، ص 236 .
- 27 ينظر ،حسن زهير حسني مليطات ، رواية البيت الأندلسي لواسيني الأعرج ،دراسة نقدية تحليلية، رسالة مقدمة للحصول على ماجستير في اللغة العربية آدابها، كلية الدراسات العليا ، جامعة النجاح الوطنية ، فلسطين ، ص 54، 53
- 28 واسيني الأعرج ، البيت الأندلسي ، منشورات الجمل ، 2010، ص 7.
- 29 الرواية ، ص 27.
- 30 الرواية ، ص 35.
- 31 الرواية ، ص 103.
- 32 الرواية ، ص 9.
- 33 الرواية ، ص 20
- 34 الرواية ، ص 21.
- 35 الرواية ، ص 25.
- 36 ينظر ، حسن زهير حسني مليطات، المرجع السابق، ص 54.
- 37 زهرة ديك ، المرجع السابق، ص 107.
- 38 الرواية ، ص 220.
- 39 سهام شراد، واسيني الأعرج قاب قوسين أو أدنى ، حوارات في الرواية و الكتابة و الحياة (2004_2014) ، منشورات بغدادي ، الجزائر، 2014، ص 217
- 40 شراد، واسيني الأعرج قاب قوسين أو أدنى ، حوارات في الرواية و الكتابة و الحياة (2004_2014) ، ص 188.
- 41 ابراهيم رزان، المرجع السابق، ص 54